Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عتاقة الأصباغ وحسن تأليف بعضها إلى بعض وتناسب أوضاعها من الصور التى يمثلها الصانع . وكما أن الصورة إذا كانت أصباغها رديئة وأوضاعها متنافرة وجدناالعين نابية عنها غير مستندة لمراعاتها ، وإن كان تخطيطها صحيحاً ، فكذلك الألفاظ الرديئة والتأليف المتنافر ، إن وقعت بها المحاكاة الصحيحة ، فإنا نجد السمع يتأذى بمرور تلك الألفاظ الرديئة القبيحة التأليف عليه ، ويشغل النفس تأذى السمع عن التأثر لمقتضى المحاكاة والتخييل ، فلذلك كانت الحاجة فى هذه الصناعة إلى اختيار اللفظ وإحكام التأليف أكيدة جداً »(٧٩) .

إذن طريقة التأليف من حيث التناسب أو عدمه هى محك الحكم بالسرقة ، والاهتداء إلى هذا النوع من النشاط التأليفى يبطل جهوداً سابقة على هذا الفهم كانت ترمى بالسرقة كل ما صادفها من ضروب التشابه لفظية كانت أو معنوية . وهذا هو ما أدركه القاضى الجرجانى من قبل ، قال : « وأول ما يلزمك فى هذا الباب ألا تقصر السرقة على ما ظهر ودعا إلى نفسه دون ما كمن ونضح عن صاحبه ، وألا يكون همك فى تتبع الأبيات المتشابهة أو المعانى المتناسخة طلب الألفاظ والظواهر دون الأغراض والمقاصد »(٨٠) .

فمجرد إخفاء الشاعر لما أخذ كان من المفروض أن يجعل وكد الناقد منصرفاً إلى وظيفته فى سياقه إذا كان عمله ـــ حقيقة ـــ فى صميم التأليف الإبداعى ، ولكنه لأمر ما أخفى دبيب هواجسه وعدل عن الجادة على الرغم من أنه من المحال « أن يؤدى المعنى بعينه على الوجه الذى يكون عليه فى كلام الأول حتى لا تعقل هاهنا إلا ما عقلته هناك وحتى يكون حالهما فى نفسك حال الصورتين المشتبهتين فى عينك »(٨١) .

---

(٧٩) السابق ص ١٢٩ .
(٨٠) الوساطة ص ٢٠١ .
(٨١) دلائل الإعجاز ص ٢٠٢ .